ذكريات مصطفى جواد عن الثورة العراقية في دلتاوه

زين أحمد النقشبندي*
رفعت عبد الرزاق محمد

عــلى الرغــم من الكتب والمقــالات الكثيرة التي تناولت الثــورة العراقية ضد الإحتلال البريطاني ســنة ١٩٢٠م، فإن صفحات كثــيرة من حوادث الثورة بقيت بعيدة عن أعين الباحثــين لعدم الاهتمــام بتدوين حوادثها أو صعوبة الوصــول اليها، والملاحظ إن عددا كبيرا من الكتب الصادرة عن الثورة سقطت في هاوية الحديث عن الثورة وكأنها وقعت في منطقــة صغيرة وبــين قبيلة دون غيرهــا، أو محاولة التقليل مــن أهمية حوادثها في مناطق أخرى، ولم يلتفت الكتاب العراقيون إلى هذه الإشكالية إلا في وقت متأخر، فبدأت الكتابة عن أحداث الثورة كوحدة واحدة من شمال العراق إلى جنوبه ....

وتبدو المفارقة اذا ما قلنا ان الكتاب الإنكليز تناولوا موضوع الثورة العراقية بشــكل شــامل لإيمانهــم التام بــأن الثورة لــم تنفرد بها منطقــة دون أخرى، بــل إن تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة شملت العراق بأسره .

ولا يمكــن وضــع تقييم دقيــق عن تاريخ الثورة، دون توثيــق حوادثها في كل المناطق، والبحــث عن كل ما ســجل وتوثيقه من بحوث أو مذكــرات أو غير ذلك، فلا تاريخ بدون وثائــق، ومــن حوادث الثــورة التي لم تنــل بعد العنايــة التامة ما وقــع في منطقة ديالى وتوابعهــا، فــلا تزال الصورة غــير واضحة امام القراء، ومن حســن الحظ أن يقوم أحد كتاب العراق ومؤرخيه الكبار وهو العلامة الدكتور مصطفى جواد بكتابة مشــاهداته عــن إنــدلاع الثورة وختامهــا في منطقته الخالــص (دلتاوه)، وقد نشرت هــذه المذكرات في مجلــة أدبية أصدرها أحــد أدباء الخالص، وهــي مجلة «المناهل» لصاحبها الاســتاذ الصحفي عبد الرزاق بستانه وهو أيضاً رئيس تحريرها.

* باحثان/العراق.

وعلى الرغم من إن ما كتبه الدكتور مصطفى جـواد لم يُعن بالوقائع كاملـة، إلا أنها جديرة بالتنويه والتحقيق، فأحداث الثورة في ديالى لم تجد بعـد الاهتمام الكافي – كمـا قلنا – وكأن جواداً أراد أن يسـجل مشاهداته لتكون مادة للباحثـين في تاريـخ الثورة، والرجـل لم يعن بحوادث التاريخ الحديث كما لا يخفى.

لقـد قام معـدا البحث بجمـع نصوص هذه الذكريات من مجلة «المناهل» لسـنة ١٩٦٣م، وتحقيـق مـا ورد فيها مـن أسـماء وأحداث، ومقارنتهـا بذكريات رجل آخـر من الخالص نفسـها وهـو المرحـوم عبد علي مهـدي، الذي نشرهـا في أواخـر الثلاثينات، وأعـادت مجلة «المناهـل» نشرهـا، وقدم البحـث بمقدمة عن المرحـوم مصطفى جواد وحياتـه في الخالص تتضمـن معلومات تنشر لأول مرة عن طفولته لم يتم التطرق اليها سـابقاً، رواها لنا صديق طفولتـه الاسـتاذ المرحوم فـؤاد عباس– لأحد معـدي البحث – سـنة ١٩٧٧م، في مكتبة دار البيان ببغداد، وأهم مـا تحوي هذه الذكريات هـو كيفية سـفره إلى دلتـاوه بعد أشـهر من قيام الثـورة وبعد أن وصله مـا كتبه صديقه الأسـتاذ عبـد علي مهدي عن أسـباب نشـوب الثورة في دلتاوه ثم سـماعه قصة قيام الثورة وأسر الحاكـم العسـكري السـياسي بدلتـاوه والاسـتيلاء على الدوائر الحكومية فيها وكيف قام الثوار بتحصين بلدتهم حتى يسـتطيعون الدفاع عنها اذا ما قـام الإنكليز بهجوم عليهم في عقـر دارهم وما كان لـــ آل أبي هيازع من دور في ذلك، وما لعبه أعضاء حزب الاستقلال [سعيد بن سارة و السيد حبيب العيدروسي و محمـود المتولي و أمين زكي الملقب أمين باشي] مـن دور في تحريض النـاس في لواء ديالى ضد الإنكليـز وتهيئتهم للثورة، ويذكر إن السـبب الحقيقي في الثورة هو تحريض الشـيخ سعيد النقشـبندي أيضاً والشـيخ مهـدي الخالصي، وكيـف قـام الإنكليز بعـد إسـتعادة بعقوبة، بقصف دلتاوه لإرهاب أهليها والثوار فيها، ثم يذكر تفاصيل الخديعـة التي قام بها الإنكليز بادعائهم سـقوط طائـرة، وما قـام به جنود السـيخ من أعمال وحشـية من كبـس الرجال والنسـاء في دورهـم وهم غافلون ثـم القبض عليهـم، وتكتيفهـم مثنى مثنى وسـوقهم إلى الموت رميا بالرصاص بدعوى أنهم من الثوار، والرجال الذين سلموا من الموت أعتقلوا وكانوا يضربـون باخمـاص البندقيـات ضربا مبرحاً يـكاد يحطم ظهورهم وأكتافهـم وأعضادهم، وقامـوا أيضـاً بحـرق دور الثـوار، وخلاصة القـول كما يذكر الدكتور مصطفى جواد أنهم قاموا بدلتـاوه بجميع الأفعـال المنكرة ما عدا التعدي على الأعراض .

وفي نهايـة الذكريات يؤرخ شـاهدنا ذكرياته بقصيـدة تحـوي أكثر من ثلاثـين بيت تؤرخ الثورة وتذكر انها ليسـت ثورة عشـائرية بل هناك هَم مشترك وطموح كبير ونضوج فكري وسـياسي ووضوح الرؤيا نحو إقامت سـلطة وطنية حكامها من أهل البلد عراقيون.

فسل عن ديالى عن حروب
لنا لما شهدناها صغارا
ثبتنا في مواطنِ محرجاتٍ
ولا قـيِّـنـا مـدافـعَ وإنـفـجـاراَ
وذدنا عن حمى وطنٍ كريمٍ
ورُمنّا في مَعاركِنا إنتصاراَ
وثرنا في ثورة المسجون ظُلماً
ولم نرهب طِعاناً أو حصاراَ

الباحثان

●تمهيد

مصطفى جواد في الخالص

عاش مصطفــى جواد فترة من حياته الأولى في مدينة الخالص «دلتاوه» وعلى وجه التحديد قبل ان يتجاوز العشرين من عمره، فعلى الرغم من وجود إختلاف في تعيين سنة ولادته، إلا إننا نرجح ســنة ١٩٠٤م، فبالإضافة إلى الأســباب التــي ذكرها الدكتــور البــكاء[١]، والملاحظ ان تعيين ســنوات أخرى لولادتــه، تمت في أوقات متأخــرة نســبياً، وتوجــد وثيقتــان قديمتــان تؤيــدان مــا ذهبنا اليه مــن إن ولادته كانت في سنة ١٩٠٤م .

الأولى: مــا ذكره الأب انســتاس ماري الكرملي، صديقــه القديم في مجلته «لغة العرب» من أنه ولد سنة ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ[٢].

الثانية: ما ذكره مصطفى جواد نفســه ســنة ١٩٣٤م في رده عــلى المرحــوم الشــيخ محمــد سعيد الراوي (ت ١٩٣٦م)، فقد ذكر الراوي في ردوده الموسومة (نقد في التاريخ) إن مصطفى جواد لا يعــرف خطط بغداد لأنــه ليس منها، فــرد عليه جواد في «جريدة الطريق» البغدادية يوم ٩ تموز ١٩٣٤م، مدافعاً عن نفســه فقال إن ورقــة جنســيته العثمانية تؤكــد ولادته في بغــداد ســنة ١٩٠٤م، أي ســنة (١٣٢٢هـ) الرومية التركية وبقينا في بغداد ســبع سنوات ثم سافرنا مع والدنا إلى دلتاوه .....

والمعــروف إن والد مصطفى جواد وهو [جواد بــن مصطفى بن ابراهيم] وأصله من قره تبه في كركوك، كان يسكن في محلة القشل ببغداد، وانــه كان خياطــاً ماهــراً في ســوق الخياطين ببغداد، بل انه كان من أشــهر خياطي الجبب فيهــا، وأصبح صُناعــه – العاملون معه – من كبــار الخياطــين، ويفتخــرون بانهــم تلامذة الأســطة جواد، وكــف بصر والده الــذي ناهز عمره على الســبعين، فإنقطع عن العمل وصار يعــول عــلى حاصــلات بســاتينه في الخالص، والحاصــلات كانــت التمــر وهــو أرخــص المحاصيــل كما لا يخفى . ويذكر المرحوم فؤاد عباس إن بساتين الأسطة جواد كانت أكثر من عشرة بساتين، وقد إشتراها إستجابة لنصيحة صديقه المرحوم عبــاس حبابة – والد المرحوم فؤاد عباس – وإبتنى له في وسطها داراً له [٣].

وقــد ذُكــر إن البســاتين لــم تعــد مهمة لدى مصطفــى جــواد عنــد إنتقالــه إلى بغــداد، وإســتقراره فيها فيما بعد، ولم يســتفد منها إلا بعــد أربعين عام، عندما إســتملكتها الدولة وأقامــت على بعضهــا سراي الخالص، ويقول المرحوم جعفر الخليلي: «إن ما وصل مصطفى جــواد من بيــع البســاتين أربعــة الأف دينار، أضافهــا إلى ما تملكه زوجته وإشــترى بالمبلغ كله داراً في المنصور ببغداد»[٤].

إنتقــل مصطفى جواد مع أبيــه إلى الخالص ســنة ١٩١١م، ودخل كتاتيب الملة صفية، على الرغــم من أنه دخل المدرســة الإبتدائية ببغداد قبيــل انتقاله، إلا إنــه سرعان ما تــدارك أهله الأمر وأدخل المدرسة الإبتدائية في الخالص .

وفي الخالــص تــوفى والــده، ليبقــى في رعاية أخيــه الكبير المدعو كاظم والمقيــم في دار أبيه،

وتعلم في هذه الايام الكثير من عادات المزارعين وشمائلهم، ويبدو أن التصاقه بالخالص وبساتينها كان كبيراً، ومن ذكرياته الطريفة في دلتاوه التي ذكرها لأصدقائه، أنه تعلم فيها صيد الطيور، وإبتكر نوعاً من المصائد التي لا تخطئ، كما برع في تسلق النخيل والنزول منها على رأسه كالثعبان، وتعلم في الخالص التميز بين أنواع التمور ومواصفاتها، حتى أنه نظم قصيدة سماها «درر النحور في أوصاف التمور»، وإبتكر آلة مكونة من مروحتين هوائيتين من صفائح التنك نصبها في أعلى نخلة كانت موضع رعاية أسرته لجودة تمرها وندرته، وتكفي النسمة الخفيفة لتحريك المروحتين، وبذلك تفر الطيور ولا تقترب من التمر.

لقد بقيت ذكريات الخالص حية في ذهن مصطفى جواد، وعلى الرغم من قسوة الحياة التي عاشها في هذه البلدة، إلا أنها كانت موضع حبه وتقديره، حتى أنه فضل أن يلقب بالديلتاوي في عشرينات القرن الماضي عندما ولج عالم البحث والكتابة، وكان يحمل هذا اللقب حتى سفره إلى باريس للدراسة[٥] .

وقد ذكر – رحمه الله – أنه عاد إلى بغداد وهو لم يزل في مدرسة دلتاوه، بسبب خلاف بين أخيه كاظم ووالدته حول تركة والده، فقد نقله أخيه إلى بغداد وأدخله المدرسة الجعفرية ثم إنتقل إلى مدرسة باب الشيخ الإبتدائية[٦]، ثم ترك الدراسة مرة أخرى وإلتحق بوالدته بعد حصولها على حكم بالوصية على إبنها «مصطفى» وأكمل دراسته الإبتدائية في الخالص سنة ١٩٢٠م، وعندما اندلعت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م، كان في الخالص، فكتب مشاهداته وذكرياته عن حوادث الثورة باسلوب أدبي، وهذا ما نقدمه في هذه الاوراق، وفي السنة التالية ١٩٢١م، عاد إلى بغداد ليدخل دار المعلمين الابتدائية وتبدأ شهرته الأدبية بالظهور .

وقد كتب الدكتور مصطفى جواد شيئا عن حياته في الخالص في سيرة مختصرة له فقال: «وقد أصاب العمى والدي بسبب من الأسباب التي أدت به إلى هذه العاهة، فحسن له بعض أصدقائه أن يقتني أملاكاً في ناحية دلتاوه المعروفة اليوم بالخالص، ويتعيش بها ... ونقلني والدي معه إلى دلتاوه، ولما بلغت الدرس في الكتاتيب، وكانت مختلطة الأطفال يجتمع فيها الأبناء والبنات، فاسلمني والدي إلى كتاب معلمة للقرآن الكريم تعرف بالملة صفية يجتمع فيها الأبناء والبنات، بدأت أُلقِن القرآن العزيز بعد دراستي حروف الهجاء على الأسلوب القديم المعروف، ثم نقلني والدي إلى مدرسة دلتاوه الإبتدائية وكانت تسمى أيامئذ باسم «المكتب» واتذكر من معلميها صبري أفندي، وكان كما يظهر من أحواله عاريا من العلم، وعبد المجيد الأعظمي، وعليه تدربت على خط الرقعة الذي هو خطي المعتاد، وجزت الصف الثاني الإبتدائي بحسب نظام التعليم العثماني وانتقلت إلى الصف الثالث الإبتدائي، وشتاء تلك السنة دخل الجيش الإنكليزي

دلتاوه أي سنة ١٩١٧م متعقباً الجيش العثماني المنهزم نحو الشمال، وقد مرّ الجيش المذكور بالمدرسة لوقوعها على الطريق العام من المدينة بل الناحية وكان ذلك اليوم آخر أيام دراستي في العصر العثماني[٧].

● قراءة في مذكرات الدكتور مصطفى جواد حول ثورة العشرين في دلتاوه

كنت صبياً[٨] حينما اضطرمت الثورة العراقية الأولى ثورة (١٣٣٩هـ) الموافقة لسنة ١٩٢٠م، ولما بلغني إمتداد الثورة إلى لواء ديالى ومنه دلتاوه المعروفة اليوم بالخالص، كنت ببغداد، وقد كتب صديقي الاستاذ عبد علي مهدي[٩]– تغمده الله برحمته ورضوانه– في أسباب نشوب الثورة في دلتاوه وأنحائها: لأنه كانت إستجابة لدعوة الوطنيين وتأييداً للثائرين في أنحاء العراق الأخرى، وأنكاراً وإستنكاراً لحكم الإنكليز وأتباعهم .

وبعد أشهر من نشوب الثورة وتمكن الثائرين من أعدائهم في لوائهم، عزمت على السفر إلى دلتاوه، لأن دُورنا وبساتيننا كانت في تلك البلدة، وقد رافقت قافلة من «المكارين» تحركت من بغداد بالصباح وإنتهت إلى قرية «هبهب» وكنت أسير معهم راجلاً، فباتوا في القرية المذكورة، ولكن كان ينبغي لي أن أواصل السير، فلما بلغت قرية «كشكين»[١٠] على نهر «ثعيلب» قرب دلتاوه أدركني الليل، فتعاظمني السرى وتهيبت الظلام والسير فيه بين البساتين وحدي، فإتفق أن راني أحد معارفنا متلدداً فعرض علي المبيت في داره، وكان ذلك عوناً غير مرتقب، وتضييفاً غير متوقع، وتوفيقاً من الله تعالى، وما كاد ينطق بالدعوة حتى أجبت شاكراً .

وأصبحت وقد زالت عني عناء السفر فتوجهت إلى دلتاوه وهي من «كشكين» على أميال قليلة، فدخلتها صباحاً فاذا هي تعج بالثوار من أهلها وقراها وأعراب كرام وأكثرهم من قبيلة العبيد ومن فخذ «الـ أبي هيازع»[١١] وهم انجاب أنجاد كانت الكلمة في ثورة دلتاوه اليهم والاعتماد في القتال عليهم، ومكثت في دارنا بدلتاوه مع أفراد من الأهل والأقرباء، وسمعت قصة الثورة وأسر الحاكم العسكري السياسي لدلتاوه والإستيلاء على دوائر الحكومة فيها، وكسر «صندوقه» الاموال التي جرت عادة الحكومة بجبايتها من الرسوم والمكوس والضرائب والخراج، ومن طريف أخبارها – والعهدة على الراوي – إن الثوار حاولوا فتحها برصاص البندقيات الإنكليزية القصيرة المألوفة التي كان جنودهم يستعملوها، فلم تؤثر في القفل، فرموها برصاص البندقيات المعروفة **بالمالفكس** فكسرت قفلها، والظاهر أن البندقيات الاولى أوهت القفل وأوهنته فسهل على رصاص الألمانيات كسره أو هونته من البديهية لان الضرب وقع على صندوقة واحدة لا على اثنتين، وكانوا يسمون هذه الامور «الجهجهون»[١٢].

وكان الثوار وخصوصاً الدلتاويين قد حصنوا بلدتهم ببناء بابين كبيرين في مدخليها: الجنوبي من نحو بعقوبا وبغداد الشمالي من

نحـو العظيم وسـامرا، وقد فعلـوا ذلك خوفاً مـن هجوم لأعداء مفاجئ وهم في غفلة، وكانوا يحسـبون إن الإنكليـز إن هاجموهـم في عقر دارهـم ودار قراهم اسـتطاعوا الدفاع والقتال والنضـال من وراء الرتاجين، ولا أظن ذلك من الصـواب لان مثل جيوش إنكلـترا لا ترد بمثل هـذه الأبواب بـل بالكفاح والصـدام ومتابعة الرمي والضرام، وسـنذكر في آتـي الاخبار أن الرتاجـين لم يجديا دفعاً ولا نفعاً بعد ان حلت الهزيمة بالثوار.

ومما سـمعنا من الاخبار قبل حلولنا البلدة ان رئيس «الـ أبـي هيازع»[١٣] لما أحتل البلدة أمـر منادياً ينادي بالأمـان ووجوب الإطمئنان وان «اللـه رب أهـل البلدة وان رئيـس القبيلة هو الحكيـم» يعني الحاكم، وقد اسـتثنى من التمتع بالامان أفراد منهم «أبو العيس» فراش دائرة الحاكم الإنكليزي وكان الأعراب يسمونه «النشـاش» من قـول العرب «نـشَ الدابة أي ساقها سـوقاً رفيقاً لا عنيفاً»، وفي حديث عمر بن الخطـاب – رضي الله عنه – أنه كان ينش النـاس بعد العشـاء بالـدرة أي يسـوقهم إلى بيوتهم، والمنشة: ما يطرد به الذباب، والظاهر إن أبـا العيس كان يطـرد أولئك الاعراب طرداً عنيفاً، فلما اسـتولوا طلبوه ليعاقبوه وينتقموا منـه، فبلغه تفتيشـهم عنه فاسـتتر في حجرة مملوءة تيناً واندس داخل التبن فكانت زوجته تأتيه بالطعـام والشراب، ولبث على هذا النحو من الاسـتتار إلى أن سـكت عنه الطلب، فظهر للناس وقد نجا من العقاب وأمن الحساب.

●الجواسيس

تعتمـد الـدول المسـتعبدة – بكـسر الباء – المسـمى اسـتعبادها للشـعوب «اسـتعماراً» عـلى الجواسـيس فـي شـؤونها السياسـية وأمورهـا الحربيـة، وينشـط التجسـس في الازمات السياسـية وفي نشـوب الحروب، لذلك اسـتكثر الإنكليز مـن الجواسـيس العراقيين والمسـتعرقين في الثورة العراقية فبثوا عيونهم في المـدن والقـرى العراقية الثائـرة منها وغير الثائرة، لمعرفة الأحـوال والاطلاع على الخطط واكتشـاء العزائـم، والعلـم بالأعمـال الخطيرة على الاسـتعمار، القاطعة لسـبيل الاسـتقلال، والحـركات المؤديـة إلى كـسر الاغـلال، ونيـل الحرية في جميع الأمور، وعلى وفق هذه الخطة كانـت ترسـلهم إلى دلتـاوه ونواحيهـا لمعرفة مـا ذكرنـا من شـؤون الثوار، وكانـت تفضل الذيـن لهم صلـة بدلتاوه في السـكن والاملاك أو المعاملات التجارية عـلى غيرهم، وكان ذوو الضمائر الميتة مـن الخونة الأنذال الأراذل على عدة كثيرة، فكانوا يأتون دلتاوه ويتجسسـون على الثوار ويتحسسـون أخبارهـم، ويخذلون النـاس عن اتباعهم ويحذرونهـم مغبة الثورة وعاقبة الفورة ويسمونها لهم عصياناً وخروجاً عـلى الدولة، ويخوفونهم مـن العقاب بالاعدام وما دونه من السـجن والتعذيب الرهيب، وقد ظفـر الثوار بغير واحد من أولئك الجواسـيس الخونة فحبسـوهم في دائرة الحكومة، وسمعنا أنهم سجنوا ببعقوبة أفراداً منهم– لعنهم الله.

●الدوريات

أذكـر اننـا في سـفرنا مـن بغـداد إلى دلتـاوه عـلى طريـق الجديـدة ودوخلـة والقصيريين، «القصيريـين» ذلـك الطريـق المـوازي لدجلة القريـب منها لقينـا جماعة مـن الخيالة قرب الجديدة فسألوا المسافرين عن وجهتهم وعمن معهـم من غير العـرب وغير المسـلمين، أو من العـرب المظنونين المحترفين معهم بالتجسـس على أبناء وطنهم وأمتهم – قاتلهم الله – وسألنا عـن أولئك الخيالة فقالـوا: هم أفراد من الثوار وهـم الدورية في الجهـة الجنوبيـة، ينفضون البـلاد ويخشـون الهجـوم المفاجـئ وتوغـل الجواسـيس وأعـوان الإنكليـز في منطقتهـم، ولم تكـن للانكليز دوريات هنـاك لأنهم كانوا يتظاهـرون بالعجـز والاهمـال حتـى يصيب الثـوار التراخـي والتواني وتخمد حماسـتهم، ويفقـدوا كياسـتهم وتسـتحكم غفلتهـم فيضربوهم الضربة الباطشـة ويسـتأصلوهم، وهـذا ضرب من الاسـتدراج الحربـي الا انهم كانوا محيطين بأحوالهـم علما بما يحمله لهم عيونهم من اخبارهم .

●الحس والواجب الوطنيان

يتكون الحـس الوطني اما بالتربية المدرسـية الاولى، وإمـا بالأزمـات والشـدائد والظلـم والاضطهـاد التـي يحدثهـا الحكـم الجائـر والاسـتعمار الفاجـر والاسـتغلال القاهر وقد يكـون بكليهمـا فيصبح قويـاً عنيفـاً جارفاً وعـلى الحـس الوطني يقوم الواجـب الوطني، والشعوب التي ليس لها حس وطني ولا تشعر بالواجـب الوطنـي صـار أمرها إلى الـزوال لا محالـة، ومنتهى ناموسـها إلى الاختلال، واني وان كنـت ايـام الثـورة صبياً كمـا قدمت من القـول، ظهـر لي إن الثـوار بل أكثرهـم كانوا يملكـون الحـس والواجـب الوطنيـين، فلذلك ظهر بينهم التعاون الوثيق، والتساهل الرقيق، ونـدرت المنازعـات وقلت المشاكسـات ونامت الاوتار وكادت تنقطع الشـكوى، ومع ذلك فلا أذكر كيـف كان الفصل في الخصومات التي لا مفر منهـا ولا مندوحة، ولا كيف يباشر الحكم في عمومه وشـموله، لان الصبا يكون في معزل عـن ادراك مثل ذلك، ولا رغبة له في البحث عنه والتقـصي لمجرياتـه، على أني شـاهدت ابيات اليهـود[١٤]، القليلة في دلتاوه في أمن وأمان، ولا سبيل لاحد من أهل البلدة عليهم لانهم في حماية الثـوار، وذمة العرب الاحرار، وإن بدرت بادرة من غيرهم عليهم كانت ترد بعنف واسـتنكار، ومع هـذه المعاملة الطيبة مـن الثوار لهم فهم في أثنـاء إحتلال الإنكليز لدلتاوه بعد الثورة قد أظهروا لهم جميل الاسـتقبال وكثير التشـكي من الثوار والثورة، وبالغ الاشـمئزاز مما كانوا فيـه في أيـام الهياج المعروفة عنـد العرب، كما ذكرت أنفاً، بأيام الجهجهون .

ولما كان عهد الصبا مظنة للغفول والذهول لا أجد بأساً في نقل ما ذكره الاستاذ الفاضل عبد الله الفياض في كتابه «الثورة العراقية الكبرى» فقـد قـال في الصفحة الثلاثمائـة: «جبهة لواء ديالى: لقـد كان لتدابير حاكم ديالى السـياسي

أثـر في التعجيـل بالثورة في تلـك المنطقة، وقد رأى الحاكـم أن يجمـع رؤسـاء العشـائر في حـاضرة اللواء بحجة البحث في قضية «سـلب بسـيطة»، وبعد أن حضروا أمرهم أن لا يتركوا البلـدة الا بأذنه ثم ما لبـث أن أذن لهم ولكنه اسـتثنى الشـيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة العزة»[١٥]، وبعد فترة اسـتأذن الشيخ المذكور الحاكم السياسي في الذهاب إلى بغداد، فأذن له، وهناك أتصل الشـيخ حبيـب ببعض العاملين في الحقـل الوطنـي فاتفقوا معـه على ضرورة القيـام بالثـورة في ديـالى[١٦]، وحينئذ يصعب على الحكومة البريطانية نقل الجيوش من بلاد فارس لمنطقة الفرات الأوسـط، فما كاد الشيخ حبيـب يقتنع بهـذه الفكـرة حتى سـافر إلى منطقته وأتفق مع رؤسـاء العشائر المجاورين عـلى مهاجمة بعقوبـة واخـراج الحاكم منها، وكانت أفكار الاهالي مهيأة للثورة، وذلك نتيجة الدعـاوى التي نشرها السـيدان [كـذا] حبيب العيـدروسي[١٧] ومحمـود المتـولى[١٨] والسـيد صالح الحـلي[١٩] الذي قبضـت الحكومة عليه عندمـا كان يهيـج الناس أثناء حفـلات المولد النبوي كما أسلفنا سابقا.

أمـا حاكـم دلتـاوه فقبـض عليـه حبيـب الخيـزران وأسره، وقـد أخـبر الشـيخ حبيب الخيـزران الدكتـور محمـد مهـدي البصـير: إن الحاكـم المذكـور قدم له أربعـين ألف ربية كرشـوة، ولكـن الشـيخ رفضهـا، ويظهر إن معـاون الحاكم السـياسي في شـهربان رفض التسليم فالتحم مع الثوار ولكن غُلب على أمره بعد ثلاثة وقتل مع عدد من أتباعه، وكان للسيد محمـد الصـدر جهـود في تهييج أهـالي ديالى عـلى الثورة، إذ إن دلتـاوه رضخت مدة لنفوذ السـيد محمد الصدر[٢٠] الـذي جعلها مقراً له بعـد ان حاولت الحكومة القاء القبض عليه في بغـداد في اليوم الثاني عشر من آب، ومنها أخذ يشـجع الثوار وخصوصاً في سامراء ... وكانت معسـكرات الآثوريين الذين نزحـوا من آرمية واقعة بالقرب من جسر ديالى، وقد استخدمهم الإنكليز لمحاربـة الثوار في هـذه المنطقة فلبوا نداء الحكومة وسببوا مضايقات كثيرة للثوار، وفي مـرة بعثت لهـم الحكومة قطـاراً يحمل العتاد والسلاح فنسفه الثوار ولكن الآثوريون حالـوا بـين الثـوار وبـين الغنيمة، وقـد تكبد الآثوريون خلال هذه العملية خمسة وأربعون قتيلاً، وتقدر خسـارة الثـوار بمثل هذا العدد، وبعد فترة تمكنـت الحكومة من اعادة إحتلال بعقوبة، ونكلت ببعـض الثائرين وعندما علم الضبـاط الإنكليـز أن القـاضي كان يحـرض النـاس على الثـورة قصدوه إلى منزلـه وقتلوه هناك.

وقال الاسـتاذ علي آل البازركان– تغمده الله برحمته– في كتابه «الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية» في الصفحة المائة والثانية والسبعين: «ذكرت في السابق إن هيئة ادارة حزب «حرس الاسـتقلال»[٢١] لم تقـصر أعمالها على مدينة بغـداد وضواحيها فقط، بـل تعدتها إلى غيرها مـن المناطـق وعـلى هـذا، فاننا أخذنا نرسـل الرسـل لتحريـض النـاس في لـواء ديالى ضد

الإنكليـز، ومن أهم الذين قاموا بتلك المهمة هم سعيد بن سـارة[٢٢] والسيد حبيب العيدروسي ومحمـد المتـولي وأمـين زكـي الملقـب بأمـين بـاش[٢٣] حتى اذا مـا وقعت الثـورة وحدثت معركة الرارنجية ثارت عشـيرة «البو هيازع» احـدى قبائـل العبيـد تحـت قيادة رئيسـها الشـيخ محمـد أبو خشـيم، وذلـك بتحريض من الشـيخ سـعيد افندي النقشـبندي[٢٤] لأنه مـن تلك العشـيرة، وقد توجهـت صفوف البو هيازع نحـو بعقوبـة وأحتلوا البلـدة وعندئذ جاء الشـيخ حبيب الخيزران فأخذ المستر لويد الحاكم السياسي[٢٥] وأبقاه عنده ثم أوصله إلى بغـداد مع بقية الإنكليز الذين كانوا في القصبة المذكورة يوم ٢٥ تموز ١٩٢٠م.

أن عشائر لواء ديالى أعلنت الثورة ضد الإنكليز بتحريض من الشيخ سعيد النقشبندي والشيخ مهدي الخالصي[٢٦]، كما ذكرنا سابقاً، ولم يكن للسيد محمد الصدر أقل علاقة في اللواء المذكور كما إن السلطة البريطانية لم تنكل به ولم تهم بالقـاء القبض عليه كما أعلنـت ذلك يوم(١٢ آب ١٩٢٠م)، ولم تذكر أسـمه بين الاشخاص ولـم تعن الا الأربعة فقط ولكنه ذهب إلى ديالى لمهمة هـو يعلمها وبعد ذلك ذهـب إلى التاجي ومكث فيها أو بالقرب منها.

نقلنـا هذيـن الخبريـن للجمع بـين الآراء في اقتصـاص الحـوادث والاحاطة والشـمول في البحـث، وإن كانت أخبار الثـورة المذكورة في عـداد المذكـرات كما يقال اليـوم، ومن الأخبار المرسـلة التي لا تعـد تاريخاً بالمعنـى العلمي الصحيـح للتاريخ ذلك لأنها لم ينسـلخ عليها مـن الزمـان مـا يشـارك في جعلهـا تاريخاً، لاختـلاف الأراء والأهـواء والانبـاء بـين كتابها المعاصرين، ونقلة أخبارها العصريين العاملين فيها وغيرهم .

ومما قدمت من الأخبار المنقولة بعلم القارئ أن «الأرمن» الوارد ذكرهم في مذكرات الاسـتاذ عبـد علي مهدي – رحمة اللـه عليه – أراد بهم الآثوريـين أي «التياريين» وأكثرهم نسـاطرة النحلة، ولغتهم شعبة من اللغة الآرامية .

● الطيارات القاصفة

أعـود إلى اقتصـاص مشـاهداتي في الثـورة العراقيـة بدلتـاوه فأقـول: أن الإنكليـز بعـد استعادتهم بعقوبة عزموا على استعادة دلتاوه لأنهـا أصبحت مركـزاً للثورة والثـوار في ذلك اللواء، وكانت جواسيسـهم تترى بغير انقطاع ومتواصلـين بغـير امتناع، ينتهـزون الفرصة لينقضـوا عليهـا، وأرادوا أن يمهـدوا للهجوم البري بالهجـوم الجوي واسـتعمال الطيارات بالقاء القنابر على البلدة والثوار أينما ثقفوهم، فكانـوا يرسـلون على دلتـاوه ثـلاث طيارات ترميهـا بالقنابر لارهاب أهليهـا والثوار الذين فيهـا، وكان الطيارون الإنكليـز أحياناً يرمون الناس برشاشاتهم عند نفاذ القنابر، وينسقون في الطـيران لضمـان صحة التصويـب والقتل والاهـلاك فضـلاً عـن التخريـب، وكان الثوار يطلقـون رصاصهـم في الجو نحـو الطيارات القاصفة فكان عتادهم يذهب سـدى، فأننا لم

نجـد أحداً أصاب طيارة منها ولا طياراً، ولكن مقاومـة الطيـارات بذلك الضرب مـن الرمي كانت لا شـعورية لأن الانسان اذا هاجم عدوه فأنه بطبيعته يتلقاه بالسـلاح الذي معه كائناً مـا كان من حيث القوة والضعف والأثر، وكان الإنكليز يعلمون بأن الناس اذا أحسوا بوصول الطيارات سيخرجون من دورهم إلى البساتين المجـاورة للـدور المتصلة بها، فكانـوا – اعني الإنكليـز – يقصفون البسـاتين المحيطة بدور دلتـاوه، فاتلفوا كثـيراً من نخلها وأشـجارها وأغراسـها، ولا أزال أتذكـر أننا حـين تحليق الطيارات فوقنا نلتجئ إلى أقوى ركن من الدار وأصبر بناء على الدمار فنقف تحته حتى نهاية الغـارة من تلـك الآلة الفتاكة الجبـارة، وكنت وأنـا في عقليـة الصبا، أخـرج رأسي من تحت البناء لأشاهد الطيارات كالزوان صغراً وكأنها طير تذرق في الجو، ثم نسمع هزيمها في نزولها وهديرها في وصولها إلى الارض.

● القصف التمهيدي للزحف

ولما عزم الإنكليز على إعادة إحتلال دلتاوه مهـدوا له بقصف من الطيـارات عنيف فظيع ماحق، وكان ذلك في صبيحة يوم عاشوراء أي العاشر من محرم وكان يوم جمعة وهو الموافق لليوم الرابع والعشرين من ايلول سنة ١٩٢٠م، وكان أكثر القنابر من النوع الكبير الذي يهدم الدور ويخرب المعمور ويدمر ما أصابه تدميراً، فقد أقتلعت احدى القنابر احدى النخلات التي كانت في بسـتان متصل بالبلد من جهة الشرق على نهر المنصورية ورمتها على مسـافة أمتار وبقـى موضعهـا كالقليـب الواسـع المتداعي الارجـاء واتلفـت القنابـر كثـيراً مـن النخيل والشـجر وأخربت عدة دور ونشرت الرعب في القلوب، وأستعمل الطيارون رشاشاتهم أيضاً فأصابوا جماعة من المقاومين ببندقياتهم ومن المتطلعين الغافلين وكان ذلـك ايذاناً بالهجوم والاجتياح .

● الزحف والاستيلاء

ما إنبلج صباح عاشوراء الا والجيش الإنكليزي المؤلف من الإنكليز والهنود والعراقيين الخونة المرتزقـة وغيرهم قـد اتخذوا الضفـة اليسرى الشرقية من نهر التحويلة – تحويلة الخالص – ملبداً ودريئة ومستتراً ومكمناً والظاهر انهم كانـوا يعتقلـون من يمـر عليهـم لكيلا يفشي خبرهـم، وقد عمدوا إلى الخديعـة قبل الوقيعة فأمروا أفراداً منهم أن يحركوا أدوات من الخشب بأيديهـم تحـدث أصواتاً عالية تشـبه أصوات الرشاشـات وأرسـلوا خائنـاً من الجواسـيس ينادي بين الناس أن هلموا إلى طيارة سـقطت وهي الآن في حالة دفاع برشاشـاتها والاستيلاء عليها وشيك أما بقتل طياريها أو بنفاذ العتاد، فخـرج كثير من الثوار وخصوصاً أهل دلتاوه وفيهم الشـبان والصبيان ليروا عاقبة الطيارة المزعوم اسـقاطها وليفرحـوا ويمرحوا حولها وهي غنيمـة طريفة، وكنت أنـا فيمن أضحى إلى حيـث يظهر الصـوت العالي لأشـاهد هذه الآلـة الطائرة المبيرة المبيدة واشـاهد المجرمين

القاصفــين، وكان الكبار يهرعون بأســلحتهم ونحــن نهرول ورائهم ومــا كادوا يقتربون من خطــوط الجيش الإنكليزي المســتتر وراء ضفة النهر الا تلقاهم رصاص البنادق وقنابر مدافع الميدان فجأة فشــتت شــملهم وأصابــت افراداً منهــم، وتملكتهم الحــيرة واضطربت أفئدتهم لان مقاتلتهم للعدو مكشــوفة، وابدانهم بأنواع الاعتــدة الفاتكــة محظوظــة، فالمصــاب الذي عجز عــن النكوص بقــي في موضعه والمصاب الذي اســتطاع التخفي عــاد وجرحه يمج دماً، ومعهم أحد رجال الثورة الاعيان وهو «رشــيد الفــرج»[٢٧] – رحمة الله عليه – فأنه توفى بعد أن أصيــب وبعد أن خرج مــن بلده لئلا يجهز عليه عــدوه الغادر فانه عدو فاتك لا يبقي على أسير ولا يستحي الشيخ ولا الكبير ولا الصغير، وكنت أنا أسير وراء جماعة من الثوار راغوا عن جبهة القتال نحو الــشرق وكمنوا وراء الضفة الغربيــة لنهــر التحويلــة المذكور ومــن هناك أخذوا ينظرون إلى مواضع الاعداء فرأوا جماعة من الجنود الهنــود يقاتلون برصاصهم الثوار من الجهة الشمالية، فأتفقوا على أن يرشقوهم بنضحة من رصاصهم على اختلاف أسلحتهم، وثــارت بندقياتهم ناضحــة برصاصها أولئك الهنــود مــن جانبهــم الأيمن ولما أحــس هؤلاء بالجهــة التــي جاءهم منها الرصــاص وجهوا نحوهــم أفــواه بندقياتهــم ومدفعــاً ميدانيــاً، وهنــاك لــم أســمع الا أزيز الرصــاص وهزيم المدافع ذي القنابر المتفجرة المســماة بالفرنسة «شاربنيل»ويســميها عوام العراق «شرابنيل» وفيها شراب المنون فكانت القنبرة تنفجر فوق رؤوسنا وتنشر مئات الشظايا فيها هلال وبلايا ولم تستطع جماعة الثوار المذكورين الثبات ولا المقاومــة فنكصوا رامين ورموا ناكصين، وكان ذلك الموقف قريبا من منازل أعراب من المعدان أربــاب الجواميــس فارتحلوا حينمــا رأوا أنها أصبحت مواضع حرب ورأيت في أعقابهم امرأة منهم قد حملت على رأســها أشــياء من الاثاث والفراش وهي تســير في عقيــق النهر خياضاً، إتقــاء منها للرصــاص فانــه كان يتطاير من فوق الضفتين تطايراً ويمشــط جوهما مشطاً، وكانت ثابتة الجأش، قوية النفس غير مرتعبة ولا تعبة ولعل لســلامة طريقهــا المائي أثراً في قوة نفســها، وفي نكوص الجماعة وقع أحدهم في قليب القعــر كان المعدان قد حفروه لبعض شــؤونهم ثــم هوى فيــه رجل آخــر، ولكنهما خرجــا بعد لأي خوفاً مــن أن يدركهما الجنود الهنود، وهكذا أحدث نكوص هؤلاء إلى بساتين دلتاوه من الجهة الشرقية والاسلحة الإنكليزية تمطرهــم برصاصها وقنابرها وقد نجاني الله تعــالى من تلــك البلية بل المنيــة في تلك الفرجة الحمقاء التي كان فيها الهلاك مني جد قريب، والصبا نصف جنون.

ولمــا رأى الجيــش الإنكليــزي على اختلاف الاقــوام الذيــن فيــه هــرب الثــوار وارتدادهم تحركوا نحــو البلد فقتلوا من رأوه في طريقهم من الثوار والناس الذاهبين لأعمالهم في البساتين والمتاجــر والمســافرين، وكان في الدور بالمدينة نــاس لم يعلمــوا مفاجــأة الجيــش الإنكليزي

للثـوار والبلدة فبقوا في الـدور، ودخل الجيش البلدة، وارتكزت قطعاته في مداخلها النافذة إلى البساتين منعاً للثوار من مباغتته ليلاً وقطعت في أراضي تلـك المراكز كثيراً من الاشـجار لئلا يستتر بينها الثوار اذا خلف الليل النهار، وكان في الجيش كثير من الجنود الهنود من الطائفة المعروفـة بالسـيخ، وهـم مـن أقـسى الهنود قلوباً وأشدهم وحشـية، وكبس الجند الرجال والنسـاء في دورهم وهم غافلون، وقبضوا على عشرات منهم وكتفوهم مثنى مثنى وشـاقوهم إلى المـوت رميـاً بالرصـاص ـ فاعدموهـم في مداخل المدينة، بدعوى أنهـم من الثوار وأنهم قاومـوا الجيش الإنكليزي، وأنهم وجدوا معهم أسلحة إلى غير ذلك من التهم الدنيئة، والاسباب الباطلـة، وأتفق أنهم وجدوا شـيخاً كبيراً كان يسـكن في غربي البلـدة، ووجـدوا في بيت من داره «فرداً» عتيقاً من الاسلحة النارية العتيقة المهملـة وقد علاه الصدأ، فأخرجوا الشـيخ إلى البسـتان المجاور لـداره وأقعـدوه على كرسي وأوثقوا يديه به وقتلوه رمياً بالرصاص فمضى شـهيداً مظلوماً كسائر الشهداء، وكانوا أحياناً يسـخرون من المكتوفين ويقولون لهم «أعدوا وأهربوا» فاذا حركوا أقدامهم بسرعة أصلوهم صليـة مـن الرصاص مـن خلفهم فسـقطوا مضرجين بدمائهم تمج منافذ الرصاص فيهم دماً عبيطاً، وقد حدث ان أحد المكتوفين ساعده القدر على الهرب سـاحباً معه الرجل المكتوف الأخـر قافزاً به من جدار أحد البسـاتين فنجوا كلاهما وكان ذلك من أعجب الحوادث.

وكان أحد رجال الشرطة العراقيين الذين رافقـوا الجيـش الإنكليـزي في اعـادة إحتلال دلتاوه وأسـمه «رشـيد» هو الذي يدل الجنود على الدور ويخرج الرجال ليعدموا على الطريقة المذكـورة آنفاً، وقد سـلب هـذا الوحش القذر كثـيراً من أموال الناس زيادة سـوقه اياهم إلى القتل صبراً، فلعنه الله ولعن كل خائن لامته أو شعبه أو وطنه، وسلب الجنود النقود والذهب والفضة والاعلاق النفيسـة والاثـاث اللطيف، وقتلـوا الشـيوخ الذيـن قاوموهـم في حالـة الاسـتيلاء وكانوا يحفـرون الأرض ويهدمون الجـدران، اذا ظنـوا أن فيهـا ووراءهـا مـالاً مطموراً، أو اثاثاً نفيساً مخزوناً، وأقبل الهنود السـيخ على بقرة وجدوها سـارحة فادخلوها أحدى الدور فالبسوها فاخر القماش وزينوها بأنفـس زينة وقلدوها القلائد الطريفة وأقاموا لها جميع أسباب الاحترام والاعظام.

والرجال الذين سلموا من الموت واعتقلوا كانوا يضربـون بأخامـص البندقيات ضربـاً مبرحاً يـكاد يحطم ظهورهم وأكتافهـم وأعضادهم، ويسجنون في السراي القديم، وقيل لي ولم أشهد ذلك ان الهنود صادفـوا رجلاً من أهل تكريت قد استبضع تمراً وخرج فادركوه فقتلوه نجراً بالقزمـات وحطمـوا رأسـه فيمـا حطموا من جسده، وأما النسـاء وما أدراك ما حالهن فقد تركـن دورهن وتجمعـن جماعات جماعات في عدة دور من المدينة لئـلا يعتدي عليهن هؤلاء الوحوش المجرمون، ومع صدور الامر بالبداهة إلى الجيـش بأن لا يعتدي على النسـاء، وأذكر

أني بعد أن قضيت الليلة التي أعقبت الهجوم والإحتلال في أحد البساتين دخلت البلدة فسمعت صراخ امرأة وهياطها الشديد فقيل لي أنها شابة جاءت إلى دارها لتأخذ شيئاً منها فدخل عليها هندي وتعلق بها فملأت الدنيا صراخاً وهياطاً، وقاومته أشد المقاومة حتى أفلتت من يديه، ونجاها الله من ذلك الوحش الدنئ الرديء، وهربت إلى حيث تجتمع جمهرة من النساء . وأيا كان الأمر فقد كانت أيام إحتلال دلتاوه أياماً عصيبة وعبساً قمطريرا على الحرائر، فقد امتلأت قلوبهن رعباً، وفقدت عدة منهن رجالهن وأبناءهن وأقرباءهن، ولقد خرج شاب من ال الخاصكي[٢٨] من داره إلى دار أخرى في أثناء دخول الجيش الإنكليزي، فرماه جندي برصاصة في رأسه فقتله وسحبوا جثته وطمروها بالحجارة في أحد البساتين القريبة من البلدة، وخلاصة القول أنهم فعلوا بدلتاوه جميع الأفاعيل المنكرة ما عدا التعدي على الاعراض .

وقد أحرقوا دور رجال الثورة بالقنابر ومنها دار الشيخ حبيب الخالصي[٢٩] وهو عالم الدين بدلتاوه ومن أصحاب الشيخ العلامة الثائر مهدي الخالصي ودعاته المشمرين وقد كنت أحفظ أسماء أكثر الشهداء الذين قتلهم الإنكليز صبراً في دلتاوه الا أني نسيتها، فينبغي الحصول على قائمة بأسمائهم ونشرها في هذه المجلة لئلا تذهب ضياعاً أو يتطاول الزمن فمنهم من جاهد العدو فقتل ومنهم من حوصر في داره أو في الطريق فقتل صبراً وحق على التاريخ أن يسجل إسمه في أسماء «شهداء الثورة».

●تكية دلتاوه وفجيعتها

نكبت دلتاوه المسماة قديماً «دولة آباد» باعادة إحتلال الإنكليز لها نكبة فظيعة فقد قتل رجالها تقتيلاً ونكل بشبانها تنكيلا، ونهبت منها الاموال، وفجعت النساء والاطفال والشيوخ تفجيعا لا يزال يلوح في ذكريات أهليها الغابرين بموته الأحمر وهوله الأغبر، بله اخراب الدور، وغيرها من المعمور بالنقض والاحراق، والقصف والهدم، فقد هرب عنها الاعراب، والذين كانوا يدعون الزعامة في الثورة وتركوها فريسة للجيش الإنكليزي المختلف الاجيال والقوميات، وقد شهدت نكبتها وشاهدت فجيعتها العظمى وأنا صبي – كما قلت آنفاً – ولما شبت وملت إلى الشعر تذكرت ما أصابها وتخيلت مصابها، وجاشت نفسي بقصيدة لها من شفاعة الشبيبة ما يعفو تقصيرها، ويجعل التغاضي نصيرها وهي:

أليلى ما لدَمعِكِ قد تجارى
ومن عينيك ذَا الشرر استطارا
فأن كنتِ امتلأت أسىً وغيضاً
فقلبي مفعمُ حنقاً ونارا
عهدتكِ جلدة في كل خطبٍ
ففيمَ نطقتِ بالشكوى جهاراَ
أَلا ليتَ الخطوب تعاف قوماً
تمنوا لو يموتون انتحارا

عيون الحق قد نامت طويلاً
وثرنا في ثورة المسجون ظُلماً

ولم توقظ ليإلى أو نهارا
ولم نرهب طِعاناً أو حصاراَ

وان جحدوا حقوقاً فأنظريهم
وهبنا المـوتَ أرواحـاً خِـفـافـاً

فسوف ترين للظلم إنهيارا
إلى عِزِ العراقِ فعزَ دارا

ألم ترى البلاد وقد أُصيبت
وشمنا في القنابلِ خيرَ لهوٍ

بقومٍ أُربهم أضحى النضارا
يزودُ في لظى الحربِ إصطباراَ

أراهم عند خستهم صحاة
وخضنا في المنايا دون ريثٍ

وعند خَلاصِ موطنهم سكارى
نزِيلُ الذُلَ والعارَ الشناراَ

لهم وجهان وجهٌ نحو غدرٍ
مواطنٌ تخـلبُ الألـبـابَ رُعبـاً

ووجهٌ يقنعُ القومَ الحيارى
وتُزرى بالألي رهبوا إحتقاراَ

أناس لم أجد فيهم رؤوفاً
وَقـفـنـاوقـفـةَالجـبـارِنـحمـي

ولا شهماً رحيماً أو غيارى
عراقاً ود أن يحيا مجارا

أراهم أظهروا الإخلاصَ قولاً
سَلوا عَنا البَنادِقَ قاذِفاتٍ

و يـقـترفـون آثـامـاً كـبـارا
تُحدِثكم لنا خَبراً مَطاراَد

فهم تُرك اذا حكَمتكَ تُركُ
بِأنا الصابرون على لَظَاها

وهم رومٌ اذا الغربيِ جارَا
وفي الهيجاء لم نُبدِ إنكساراَ

أليلى كَفكفي دمعاً سجيما
على مجدِ البلادِ لنا بنود

فقد حسَرت لكِ الجُلى انحساراَ
وباغي الموت ما رامَ إشتهاراَ

أنحن أولي الحمية والمعالي
أليلى ما لعيني إنَ عيني

نقاسي ظلمَ من في الغي سارا
رأت هولاً يزيدُ القلبَ ناراَ

فموطنـنـا بـعزتـنـا شـهـيـدٌ
رأيت بها مصيرَ الشوس صبحاً

وقد عرف الالي طلبوا الفرارا
فليتَ الصُبح كان لها سَراراَ

فسل عنا ديالى عن حروبٍ
رأيتُ دماءهم هدراً أُريقت

لنا لما شهدناها صغاراَ
رأيتُ ذماءهم قتلاً تواريَ

ثبتنا في مواطنٍ محرجاتٍ
شبابُ أعرسُوا بالموتِ فرداً

ولا قـيـنـا مـدافـعَ وإنـفـجـاراَ
وكان رصاصُ قاتِلِهم نثاراَ

وذدنا عن حمى وطنٍ كريمٍ
وهَللت البنادقُ في حماهِم

ورُمنا في معاركِنا إنتصاراَ
وكان لهم مَباءَ الموت داراَ

وبايعهم كهول القَومِ زَفاً
فيا حزناً لمن تركوا الدياراَ
وظل نجيعَهم ختماً بصكٍ
من العز الذي أوروا فناراَ
اذا العربِ انهووا من أجل عزٍ
فما لبسواً بذا ثوباً معاراَ

كانت مجلــة «المناهل» قد ذكرت على حاشــية الحلقــة الثانية حول الاثوريون ان الشــائع في قضــاء الخالص أنهم كانوا»أرمن»ولم يســمع أحد قبل الأن أنهم كانــوا أثوريون أو تياريون فكانت اجابة الدكتور جواد على ذلك:-

نقلت ســابقاً أن الثوار من أهل دلتاوه والعرب لقــوا مضايقــات مــن الاثوريــين الذيــن اتخذ الإنكليــز لهم معســكراً في ديالى قــرب بعقوبا، نقلتــه بالنص من كتاب الاســتاذ الفاضل عبد الله الفيــاض «الثورة العراقيــة الكبرى»، ص ٣٠١، ونقل مؤلف كتاب الثورة ذلك الخبر من كتاب أخر، علقت ادارة المجلة لأن المعروف هو ان الأرمن هم الذين كانوا معسكرين هناك ولم يسمع أحد باسم الاثوريين في هذا الشأن، وليس ذلك بصواب فان عســكرة الاثوريين هناك من الامــور الواقعيــة التي لا يتطرق الشــك عليها، فانا مقيم الان قرب محلة الاثوريين على طريق مصفى النفط ومنهم شيوخ لايزالون يذكرون اقامتهــم هناك وكهــول يذكرون انهــم والدوا هناك او لعبوا، والســبب في عدم شيوع اسمهم انهــم لم يكونوا معروفين في العراق وخصوصا في الخالــص بهذا الاســم على حــين كان أفراد الارمن المقيمون معهم معروفي الاسم في العراق منذ عصور طويلة، وهذا كتاب «العراق» تأليف فيليب ويلاردايرلند وترجمة الاســتاذ الفاضل البارع جعفر الخياط، قد جاء في الصفحة ٣٨٤ منه قول مؤلفه «المتفرقات ... اللاجئون الأرمن والأثوريون الموجودون حالياً في مخيم بعقوبة ١٩١٩م»، وقال الأســتاذ علي ســيدو الكوراني في كتابــه «من عمــان إلى العمادية» ص ١٦٤: «كان الاشــوريون قبــل الحــرب يســتوطنون لواء حكاري وحول مدينتي أورميا وســلماس في كردســتان الشرقية وقد ارغموا على الهجرة بسبب كثرة المعارك الحربية بين جيوش الترك والــروس في البــلاد التــي كانوا يســكنوها، إلى العراق والقوقاس، والقســم الذي دخل العراق اســكنه البريطانيون بعقوبة وألفوا من شبانه أفواجاً ألحقوها بالقوة البريطانية ...» .

●الهوامش

(١) د . محمــد عبــد المطلــب البــكاء، مصطفى جواد حياته ومنزلته الفكرية، بغداد، ١٩٨٩م .
(٢) لغة العرب، السنة السادسة، ١٩٢٨م، ص ٦٤٦ .
(٣) أجوبــة للمرحوم فــؤاد عباس كان قــد اجاب بها ســنة ١٩٧٥م في مكتبة الأســتاذ علي الخاقاني ببغداد لاحد معدي البحث.
(٤) جعفر الخليلي .
– هكذا عرفتهم، بيروت، د . ت، ٣: ٧٨ .
(٥) نجدت فتحي صفوة، خواطر واحاديث في التاريخ، بغداد، ص ١٤٦ .
(٦) ذكر جعفر الخليلي انه عمل في دلتاوه راعيا لاغنام تعــود لصهره، إلا ان أبنــاء عمومته في بغداد ســمعوا بأمره، وبعثوا بمن يأتي به إلى بغداد [هكذا عرفتهم: ج ٣: ص ٤٣٦]، وقد ذكر المرحوم ما يشــبه هذه الرواية (اجوبة فــؤاد عباس) وربما كان مصدر رواية الخليلي هو فؤاد عباس نفسه.

(٧) يوسف عز الدين، شعراء العراق في القرن العشرين، بغداد، ١٩٦٩م، ص ١٦١ .
للمزيد ينظر:
- د. محمد عبد المطلب البكاء، مصطفى جواد، حياته ومنزلته الفكرية، بغداد، ١٩٨٩م .
- مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، بغداد، د . ت .
- سالم الآلوسي، ذكرى مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧٠م.
- د. يوسف عز الدين، شعراء العراق في القرن العشرين، بغداد، ١٩٦٩م .
- وحيد الدين بهاء الدين، مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧١م .
- جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، الجزء الثالث، بيروت، د . ت .
- مصطفى جواد، في التراث العربي، الجزء الأول، بغداد، ١٩٧٥م .
(٨) كان عمره – رحمه الله – عند إندلاع الثورة العراقية هو (١٦) عاماً . ينظر المقدمة.
(٩) هو عبد علي مهدي صالح الكريم البياتي، ولد عام ١٩٠٢م، عمل بالتعليم وعُرف أديباً، وتوفى منتحراً سنة ١٩٥٠م، وهو والد الدكتور عصام عبد علي، وكانت مذكراته التي نشرتها «مجلة المناهل»، قد أرسلها إلى «مجلة التفيض»سنة ١٩٣٩م .
- مجلة المناهل، العدد (٥ – ٨) ١٨ ت١ ١٩٦٣م إلى ١ ت٢ ١٩٦٣م .
(١٠) تقع غرب دلتاوه بعشر كيلومترات.
(١١) آل أبي هيازع: وهم فخذ من العبيد العشيرة العربية المعروفة في أنحاء العراق ويطلق عليهم «الكبيشات»، حين نشبت الثورة العراقية الكبرى في الفرات الأوسط وعند وصول أخبارها إلى الشيخ محمد ابو خشيم شيخ العشيرة أنظم اليها، ويذكر علي البازركان ان الشيخ سعيد النقشبندي هو الذي حرض محمد أبو خشيم على الثورة، (وهذا ما أورده أيضاً د . مصطفى جواد في مذكراته) لانه كان من تلك العشيرة، ويذكر د. علي الوردي أنه يصح ان نقول أن الذي دفع الشيخ محمد أبو خشيم على اعلان الثورة حافزان حافز الدين وحافز الدنيا، وليس هذا بالأمر النادر، اذ هو ديدان أكثر البشر .
- علي البازركان، الوقائع الحقيقية، بغداد، ١٩٥٤م، ص ٦٧٢ .
- د . علي الوردي، لمحات اجتماعية، بغداد، الجزء الخامس، القسم الثاني، ص ٣٢ .
(١٢) ضجيج وصخب، قال داود الجلبي ان أصلها ارامي، وقال قاموس العوام: انها محرفة من «جهات جون» الفارسية أي جماعة الدنيا محمد سعيد آل مصطفى ذكره الشيخ جلال الحنفي في «اللغة العامية البغدادية»، بغداد ١٩٨٢، ج٢/ص ٢٥٤ .
(١٣) ذكر المرحوم عبد علي مهدي في مذكراته: وان انسى لا أنسى أبو خشيم أحد متقدمي عشيرة البو هيازع ساعة وقف خطيباً من فوق جواده بين الجموع الزاخرة فألقى خطبته التي لازالت تلوكها الألسن بلهجته البدوية والتي معناها: أيها الناس لا يأخذكم الفزع ولا ينالكم الخوف فقد ذهب الغاصبون المستعمرون وبقينا أحراراً نحن وشأننا وكلنا عنصر واحد وقلب واحد ونفس واحدة، فعودوا لأعمالكم، وأرجعوا إلى سيرتكم الأولى، ومازلنا نطلب حقاً فالله معنا وهو خير ناصر وأقوى .
(١٤) قدر عدد اليهود في ديالى في أوائل القرن العشرين (١٦٨٩) نسمة، كما يذكر يوسف غنيمة في كتاب نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ١٨٤، بينما جاء في دليل أحصاء سنة ١٩٤٧م ان عددهم (٢٨٥١) نسمة، والمعروف ان أغلبهم يسكن قضاء خانقين .
(١٥) الشيخ حبيب الخيزران (١٨٩٥ – ١٩٨٠م) رئيس قبيلة العزة، والخيزران اسم أبيه، توفى سنة ١٩١٧م فتولى ابنه حبيب الزعامة .
(١٦) بعد ان إتصل الخيزران برجال الحركة الوطنية، سافر إلى دلتاوه مباشرة وإتصل بعدد من رؤساء القبائل أمثال الشيخ حميد الحسن رئيس بني تميم، والشيخ مخيبر بن وهج رئيس الكرخية، وإتفق معهم على إعلان الثورة .
- الزبيدي، العراقيون المنفيون إلى هنجام، ص ١٤٧.
(١٧) (... – ١٩٦١م) من أهالي بغداد يمتلك بساتيناً في ديالى، وكان شخصية محبوبة بين الناس لظرفه

وأدبـه، ولا صحة لما قاله الأسـتاذ أمـين المميز من ان العيدروسي انتخب نائباً عـن ديالى في المجلس النيابي، فهو لم ينتخب البتة .

– بغداد كما عرفتها، ص ٥٠١ .

(١٨) سـبب تلقبه بالمتـولي لان أحد أجداده كان متولي وناظـر لاوقـاف الصحابـي الجليل سـيدنا سـليمان الفارسي (رضي الله عنه) بأمر من السلطان العثماني، وكان محمود أفندي يسكن بعقوبة وقد صار عضواً في مجلس الادارة فيها لسنوات متوالية، ولما إحتل الإنكليز مدينته كان من أوائـل المتذمرين منهم، وكان يحرض الناس على الثورة، وان إعلان الثورة في بعقوبة قد تقرر في إجتماع عقد في داره .

– أحمد الرجيبي، تاريخ بعقوبة، ج/٢ .

– د. عـلي الـوردي، لمحات اجتماعية، ج/٥، القسـم الثاني .

(١٩) (١٢٨٩ – ١٣٥٩ه) أديـب وخطيـب شـهير له دور مشـهود في حركة الجهاد ضـد الحملة البريطانية لإحتلال العـراق، ولما انفجـر بركان الثـورة العراقية سـنة ١٩٢٠م نشـط في اثـارة الناس ضـد الإحتلال، يقول اليعقوبي: فذهب إلى لواء ديالى متوغلاً في أريافه وقراه لإسـتنهاض قبائله وعشـائره، ولكن سرعان ما قبض عليه الإنكليـز في بعقوبة وأبعدوه إلى البصرة ثم إلى المحمرة فأواه الشيخ خزعل أمير المحمرة ولم يطلق سراحه إلا بعد انتهاء الثورة .

– علي الخاقاني، البابليـات، النجف، ١٩٥٥م، الجزء الثالث، القسم الثاني، ص ١٣٥.

(٢٠) هـم محمد بن حسـن صـدر الديـن (١٨٨٣ – ١٩٥٦م) ولد في الكاظمية في عائلة علمية شـهيرة، من أقطـاب ثورة العشريـن مقرباً من العائلة الهاشـمية، وأصبـح عضـواً في مجلس الأعيـان ورئيسـاً له لمرات عديـدة، وعـين رئيسـاً للـوزراء سـنة ١٩٤٨م عقب إنتفاضة بورتسموث، توفى في ٣ نيسان ١٩٥٦م .

– مـير بصري، أعلام السياسـة في العـراق الحديث، لندن، ١٩٨٧م، ص ١١٠ .

(٢١) ذكر المرحوم عبـد علي مهدي في مذكراته ان من أعضاء فرع حزب «حرس الاستقلال» في دلتاوه السادة: انطـوان لوقـا وداود الجوهر وعبد الغنـي الخاصكي وعلـوان العزاوي وشـاكر حميد، وقد إتفـق هؤلاء مع بعض وجهاء البلدة أمثال رشـيد الفرج وعبد الخدران وجواد العزاوي والشيخ حبيب الخاصكي وعبد الخالق الهاتف وغيرهـم على إعلان الثورة في وقـت تم تعيينه على ان ترابط العشائر خارج البلدة إستعداداً لدخولها وان تكـون قبيلة «الهيـازع» أول الداخلين، وكان يوم ١٢ آب ١٩٢٠م هـو أول يوم لإندلاع الثورة في دلتاوه، ولـم تقع أي حوادث للشـغب أو النهـب مما يدل على التزام المتفقين باتفاقهم .

(٢٢) وهـو سـعيد بـن سـارة العـزاوي وكان حلقة الوصل بين شـيوخ ديالى وقيادة الثـورة في بغداد كما يذكر حبيب الخيزران في أحاديثه .

– الزبيدي، العراقيون المنفيون إلى هنجام، ص ١٤٤.

(٢٣) لم نحصل على ترجمته .

(٢٤) هو العلامة الشـيخ محمد سـعيد بن عبد القادر العبيـدي (١٢٧٧- ١٣٩٩ه)، ولد في بغداد، وكان من مؤسـسي حزب العهد في العراق عند إحتلال بغداد من قبل الإنكليز سـنة ١٩١٧م، منع مرضـه من اعتقاله، فبقي منزوياً في داره إلى وفاته .

(٢٥) كان معاون الحاكم السـياسي في دلتاوه يومذاك الكابتن لويد، وقد تم إستسلامه مع موظفيه وحراسه، فانزلوا بيت السـيد عبد العزيز الهويدراوي الذي يقع قبالة السراي .

– علي الوردي، لمحات إجتماعية، نقلاً عن فؤاد عباس ج٥، القسم الثاني، ص ٣٦ .

ويذكر الشـيخ حبيب الخيزران ان لويد كان صديقاً له وقد سـمح له بالذهـاب إلى بغداد لغـرض العلاج، فإتصل هناك ببعض رجال الحركة الوطنية (الزبيدي، ص ١٤٦).

ومن الطريف ذكره ان لويد بقي إلى النهاية صديقاً للخيزران ويحفظ لـه موقفه منه أثناء الثورة، وعندما ذهـب الخيـزران إلى لندن للعلاج سـنة ١٩٦٨م، زاره المستر لويد في المستشفى (الزبيدي، ص ١٤٨) .

(٢٦) (١٨٦١ – ١٩٢٥م) مـن كبـار رجـال الدين في عهده، إشـترك في ثورة العشرين محرضاً العشائر على الإسـتجابة لنداء الثورة وبعد تأسيس الدولة العراقية، وقف مناوئـاً لإنتخابات المجلس التأسـيسي، فنفي إلى

خارج العـراق وتوفي في المنفى، ولولده الشـيخ محمد مهدي الخالصي كتاب في سيرة والده، الزركلي، الاعلام، ج٧/ص ١١٥.

(٢٧) رئيـس بلديـة دلتاوه، وقد نزل شـيوخ القبائل الثائرة ضيوفاً عنده .

(٢٨) لآل الخاصكـي أملاك ومـزارع في دلتاوه ولهم فيهـا موقوفـات، وكانـوا ينتقلون اليها مـن بغداد في موسـم الصيف لجمـع الحاصـلات وإطعـام الناس المحتاجـين، واثنـاء وجودهـم في دلتاوه نشـبت ثورة ١٩٢٠، ولما عاد الإنكليز لإحتلال المنطقة عاقبوا الثوار عقوبات شديدة، فأعدموا أحد أفراد الاسرة الخاصكية الشـهيد فاضـل بـن الحاج جعفـر بن الحـاج جعفر الخاصكـي، كمـا كانوا قد أطلقـوا الرصاص على عبد الأمـير بـن الحاج كاظـم حمادي الخاصكي، فسـقط الجدار عليه وصار تحت الأنقاض وظنوا أنه مات وهو لم يمت ثم تمكن من النجاة .

– عبد المنعم الغلامي، الأنساب والأسر، بغداد، ١٩٦٥م، ج١، ص ٢٥٧ .

(٢٩) وهـو مـن أسرة آل الخالـصي المعروفـة، وكان هذا المرجع الديني وكيلاً عن الشـيخ مهدي الخالصي، وعند إندلاع الثورة في الفرات، أرسل اليه الشيخ مهدي الخالـصي رسـائل بيد السـيد محسـن العامـلي لكي يوصلهـا إلى رؤسـاء المنطقة ويحرضهم عـلى الثورة، وقد أوصل الشـيخ حبيب تلك الرسـائل إلى الرؤسـاء بواسـطة رسـل يعتمد عليهم، ويذكر د . علي الوردي: أنه كان لتلك الرسـائل الأثر في إنـدلاع الثورة في ديالى لأن الكثير من أهالي المنطقة كانوا من المقلدين للشـيخ مهدي الخالصي .

– د. علي الوردي، لمحات إجتماعية، ج٥، القسم٢، ص/٣١.

المصادر:

– أحمـد الرجيبـي، تاريـخ بلديـة بعقوبـة، بغـداد، ١٩٧٤م، الجزء الثاني .

– أمين المميز، بغداد كما عرفتها، بغداد ١٩٨٥ .

– جعفـر الخليـلي، هكـذا عرفتهـم (١–٧)، بـيروت، المكتبة الحيدرية١٤٦٢هـ .

– جلال الحنفي، معجم اللغـة العامية، الجزء الثاني، بغداد ١٩٨٢.

– خيرالدين الزركلي، الاعلام(١–٨)، بيروت ٢٠٠٢.

– سـالم الالـوسي، ذكـرى مصطفـى جـواد، بغـداد ١٩٧٠م.

– عبد المنعم الغلامي، الأنساب والأسر، بغداد، ١٩٦٥م، الجزء الاول .

– علي البازركان، الوقائع الحقيقية، بغداد، ١٩٥٤م .

– عـلي الخاقاني، البابليات، النجـف، ١٩٥٥م، الجزء الثالث .

– د . علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، الجزء الخامس، القسم الثاني، بغداد ١٩٧٧.

– د . محمد حسـين الزبيدي، العراقيـون المنفيون إلى هنجام، بغداد، ١٩٨٩.

– د . محمـد عبد المطلب البكاء، مصطفى جواد حياته ومنزلته الفكرية، بغداد، ١٩٨٩م .

– مصطفى جـواد، في التراث العربي، بغداد، ١٩٧٥م، الجزء الأول .

– مير بصري، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، بغداد، ١٩٧١.

– مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، لندن، ١٩٨٧م .

– نجدت فتحي صفوت، خواطر وأحاديث في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣.

– وحيـد الدين بهاء الديـن، مصطفى جـواد، بغداد، ١٩٦١م .

– يوسف رزق الله غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، بغداد، ١٩٢٤م .

– د . يوسـف عـز الديـن، شـعراء العـراق في القـرن العشرين، بغداد، ١٩٦٩م .

– دليل إحصاء سنة ١٩٤٧.

– مجلة لغة العرب، السنة السادسة ١٩٢٨.

– مجلة المناهل(٥–٨) لسنة ١٩٦٣.